

## مشاركة الأطفال المغاربة في المباراة الدولية لقياس الكفاية القرائية بيرلز PIRLS

محمد سعيد الصمدي  
أستاذ مكون  
المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين - طنجة

ملخص: الورقة تعرف بأهم الاختبارات الدولية التي يشارك فيها المغرب، والتي تقيس درجة التحسن التعليمي على عدة مستويات، ومنها قياس التحكم في الكفاية القرائية من خلال اختبار بيرلز [PIRLS]، والذي تشرف عليه رسميا الجمعية الدولية لتقويم التحصيل الدراسي، ونظرا لأهمية التقارير التي تصدرها الجمعية، ونظرا أيضا لحساسية المرتبة التي حازها المغرب في أسفل الترتيب الدولي، وجب على المتتبع للشأن التربوي ببلادنا أن يتعرف هذا الاختبار، وجدوى نتائجه، لما يستدعي ذلك من دراسة وتحليل للنتائج والعوامل المختلفة المتسببة في مثل هذه النتائج الكارثية لدى متعلمينا. إن النتيجة التي حازها المغرب في دورة 2011 بخصوص تقويم الكفاية القرائية يستدعي منا إعادة النظر الجدي في أهمية مادة القراءة، باعتبارها مفتاحا أساسا وسندا بيداغوجيا في بناء استراتيجية الفهم عند المتعلم، واكتساب مختلف التعلّات وإغناء الرصيد المعرفي، وبالتالي اكتساب الكفايات التي يعبّئها للاستثمار والتوظيف في مقامات تواصلية مختلفة ووضعية حياتية متعددة .

**Résumé:** L'article s'intéresse aux tests internationaux les plus importants, auxquels participe le Maroc, et qui mesurent le progrès du système éducatif à plusieurs niveaux, y compris le degré de maîtrise des compétences en lecture scolaire à travers le test PIRLS piloté par l'Association Internationale pour l'Evaluation du Rendement Scolaire. Et compte tenu de l'importance des rapports élaborés par l'association, et aussi en raison des résultats médiocres enregistrés par le Maroc, classé au bas de l'échelle internationale, nous pensons qu'il est du devoir de tous les acteurs éducatifs dans notre pays de prendre connaissance de ce test, son processus de fonctionnement, et ses résultats, avec tout ce que cela demande comme travail d'étude et d'analyse des résultats et des différents facteurs à l'origine du rendement scolaire catastrophique de nos apprenants. Le résultat obtenu par le Maroc au test PIRLS de 2011 nous oblige à reconsidérer sérieusement l'importance de la lecture comme une base fondamentale et un appui pédagogique dans la construction des stratégies de compréhension chez l'apprenant, dans l'acquisition de ses divers apprentissages et dans l'enrichissement de ses connaissances, ce qui lui permettra sûrement de maîtriser les compétences mobilisables et transférables dans les différentes situations de communication ainsi que dans les situations de la vie quotidienne.

## تمهيد

لتقييم التحصيل التربوي (IEA)، وأهميتها تكمن في نوع المكون التعليمي (المادة الدراسية) الذي ترصده بالدرس والقياس والتقويم: مكون القراءة باعتباره الرافد الأساس والفاعلية اللغوية المركزية في دعم واكتساب كل التعلّيمات والمهارات المختلفة، والذي بواسطته يكون التلميذ ومواطن الغد قادرا على القيام بمحاجاته ومتطلباته الشخصية وبأدواره المجتمعية والانفتاح على محيطه وفهم ما يجري حوله...

مباراة «بيرلز» لتقويم مهارة القراءة تجري كل خمس سنوات، وباللغة الأم لكل بلد، والمغرب واحد من الدول العربية القليلة الذي يشارك فيها؛ فقد شارك على التوالي في دورات 2001، و2006، و2011. وقد أصدرت الجمعية الدولية تقريرها النهائي الخاص بدورة 2011 باللغة الإنجليزية في 361 صفحة. ويعتبر هذا التقرير ذا أهمية حساسة بالنسبة لتقويم المنظومة التربوية ببلادنا، نظرا للمرتبة غير المشرفة التي نالتها مشاركة التلاميذ المغاربة. ولعل الهدف الأسمى لهذه المباراة هو أن يستثمر المسؤولون عن القطاع التربوي والتعليمي بكل بلدٍ مشارِكِ النتائج المحصل عليها، دراسة وتحليلا وتقويما وتعديلا واستشرافا؛ وإلا فلا معنى للمشاركة وهدر الجهد والكلفة المالية.

ويُعرّف اختبار «بيرلز»، «بأنه القدرة على فهم أشكال لغوية مكتوبة، تلائم

الفرد والمجتمع، واستعمالها بشكل صحيح، ليستطيع القارئ الناشئ استخلاص المعنى من النصوص المختلفة؛ فيقرأ من أجل التعلّم، حتى يكون شريكا في مجتمعات قارئة، داخل المدرسة وخارجها، إضافة إلى توظيف هذه المهارة من أجل قراءة المتعة»<sup>(1)</sup>. ويظهر، من خلال نماذج من الاختبارات الموجهة بهذا الشأن، أنها بالفعل تنتقل بالمتعلم من القراءة المدرسية الرتيبة إلى استثمار وتعبئة الموارد القرائية المندمجة لحل وضعيات مشكلة متعلقة بعدة مهارات وقدرات تتعلق باكتساب واستعمال

تتّم الجمعية الدولية لتقويم التحصيل الدراسي (IAE)، والكائن مقرها ببوسطن، بإجراء اختبارات/روائز ذات بعد مقارناتي بين الأنظمة التعليمية بالبلدان المشاركة في الاختبارات الدولية التي تنشطها الجمعية بلغات البلدان المشاركة، وذلك قصد قياس درجة امتلاك الكفايات الأساسية المستهدفة من الرائز، ولهذا أنشأت مباريات متنوعة تخص قياس مخرجات سلك تعليمي معين، كاختبار «بيرلز/PIRLS» الذي يستهدف أطفال السنة الرابعة ابتدائي؛ على اعتبار أن أطفال العالم في هذا المستوى يُفترض أن يكونوا قد تعلموا وتدرّسوا ست سنوات في المدرسة الأساسية باحتساب سنتي رياض الأطفال. وهناك مباريات أخرى تخص مستويات وأصناف تخصصية محددة، كـ«TIMSS»: الدراسة الدولية حول الاتجاهات في الرياضيات والعلوم، وهي خاصة بالمستوى الثامن؛ و«PISA»: البرنامج الدولي لتقييم المتعلمين، وهي خاصة بفئات 15 سنة، وترصد المهارات التالية: فهم النص المكتوب والثقافة الرياضية والثقافة العلمية؛ و«TALIS»: الدراسة الدولية حول المدرسين والتعليم والتعلم؛ و«ICCS»: الدراسة الدولية حول التربية المدنية والمواطنة؛ و«TED-M»: الدراسة حول إعداد المدرسين والتنمية في الرياضيات.

## 1. الدراسة الدولية حول التقدم في الكفاءة القرائية بيرلز [PIRLS]

تختص مباراة «بيرلز» بتقويم الكفاءة القرائية لدى التلاميذ، وتعتبر هذه المباراة من أهم المباريات التربوية العالمية التي تشرف عليها الجمعية الدولية

**الهدف الأسمى لهذه المباراة هو  
أن يستثمر المسؤولون عن القطاع التربوي  
والتعليمي بكل بلد مشارِكِ النتائج المحصل  
عليها**

المعلومات، وعمليات فهم المعنى الخفي والاستنتاج،  
وتفسير ودمج الأفكار والمعلومات، وفحص المضمون  
وعناصر المقطع القرائي المختار. من أجل ذلك يجب  
أن تكون النصوص القرائية المقررة أو المختارة مناسبة  
للمستوى العمري للطفل،  
وتنتقل به من معجمه التداولي  
ولغته البسيطة والمألوفة إلى ما  
يفتق اللسان وينمي الذوق  
ويساعد على النمو واكتساب  
النسق العربي الفصيح معجما  
وأسلوبا وتذوقا جماليا وقيما.  
يقول الأستاذ محمد عبد

### ولم تختلف كثيرا نتيجة المغرب في دورة 2011 عن نتيجة دورة 2007، حيث رُتب في المرتبة ما قبل الآخيرة

استثمار المكتسبات اللغوية في فهم النصوص المختلفة  
والتعليق عليها؟  
مع الأسف الشديد، ثفاجنا مختلف أنواع  
التقويمات الوطنية والدولية بنتائج ومخرجات جد محرجة،  
تجعلنا نُعيد طرح التساؤل: هل  
هناك ممارسة صفية ومنهجية  
تدرسية تعتمد حقا المقاربة  
بالكفايات، أم إن الأمر يبقى  
سجين خطاب العدة التكوينية  
بمؤسسات ومعاهد التكوين،  
والخطاب التربوي الرسمي الذي  
يحتاج إلى مقارنة مندمجة في

التنزيل والأجراً على واقع الحياة المدرسية برمتها؟  
2. طبيعة الاختبار ونوعيته

يواجه التلميذ(ة) عشرة نصوص: خمسة نصوص  
تخص النص الأدبي، ومثيلاً تخص النص الإخباري،  
وتتوزع الأسئلة بنسب مختلفة حسب أهمية المهارات  
والكفايات المستهدفة، كاستخراج المعلومات الواردة  
بوضوح في النصوص (22% من الأسئلة)؛ والقيام  
باستنتاجات مباشرة من خلال الربط بين المعلومات  
الواردة في النصوص (28% من الأسئلة)؛ واستيعاب  
الأفكار الواردة في النصوص وامتلاك القدرة على قراءتها  
(37% من الأسئلة)؛ وفحص المضمون وتقييمه (23%  
من الأسئلة). ويمكن أن نعتبر، بيداغوجيا، أن الصعوبة  
الوحيدة التي يمكن أن يلحظها المتفحص لهذه النصوص  
بالنسبة للمستوى الرابع ابتدائي هي طول النصوص، إذ  
يتراوح النص بين 800 و1000 كلمة، إضافة إلى عامل  
الترجمة: فالملاحظ أنها نصوص لكبار الكتاب الروائيين  
الأجانب، رغم طابعها المدرسي؛ والترجمة دائماً تبقى  
دون سقف الإبداع الأول في جمالية النص وأصالة  
تعبيراته وبلاغته، إلا أن هذا المعطى يبقى قاسماً مشتركاً  
بين جميع تلامذة العالم المشاركين.

تقول التعليمات الموجهة للمترشح قبل البدء في  
الاشتغال: «في هذا التقييم، ستقرأ قصصاً أو مقالات

الحמיד أبو العزم: «لهذا كان ما يتنادى به بعض الناس  
من أن قراءة الأطفال ينبغي أن تقتصر مادتها على لغة  
الأطفال، أي ما يستعملونه في أحاديثهم وفي كتاباتهم  
من الألفاظ والعبارات، من الأقوال الساذجة التي لا  
تقوم على أساس من الأسس العلمية الصحيحة... ولا  
يمكن أن تكون مادة القراءة غذاء صحياً يلائم عقول  
الأطفال ويساعدها على النمو والاكتمال إذا اقتضت  
ألفاظها وعباراتها على ذلك المعجم المقترح إحداثه  
ليجمع ما يستعمله الأطفال في أحاديثهم وكتاباتهم من  
الألفاظ والعبارات...»<sup>(2)</sup>

و«القراءة» بهذا المعنى هي التي تنشط خيال  
القارئ طفلاً كان أو راشداً، وتوجه أفكاره وترقق مشاعره  
وتفتح آفاقه وتبني قيمه؛ والقارئ في أي مرحلة كان من  
مراحل عمره هو «ذاتٌ فاعلة تمتلك من المواصفات  
والمؤهلات ما يجعلها تمارس فعل القراءة وتدرك الغرض  
الذي دفعها إلى الانخراط في هذا الفعل والدخول في  
علاقة تبادلية مع نص معين»<sup>(3)</sup>. فهل الدرس القرائي  
في منظومتنا التربوية بكل مكوناتها يرقى بالمتعلم إلى  
حدود بعيدة تجعل من مادة القراءة مورداً محبباً عنده  
يحقق الكفايات الإستراتيجية للدرس القرائي؟ وهل  
يمتلك المدرس كفايات مهنية ومقاربات بيداغوجية ذات  
فاعلية تبني استراتيجيات الفهم عند المتعلم، وتحفز على  
الانخراط الفعال في الفعل القرائي، وبالتالي القدرة على

(2) محمد عبد الحميد أبو العزم، [1953]. المسلك اللغوي ومهاراته: مطبعة مصر، القاهرة، ص. 208.

(3) ع. اللطيف الجابري، ع. الرحيم دوصو والمصطفى حاجي، [2004]. تدريس القراءة: الكفايات والاستراتيجيات، ج1، مطبعة النجاح الجديدة 13 البيضاء.

الحقيقة المرة التي تواجهنا بعد تصفح لائحة الترتيب النهائي لتقويم الكفايات القرائية لدى متعلمي السنة الرابعة ابتدائي، هي أن المغرب حاز المرتبة الأخيرة من بين خمسة وأربعين بلدا شارك في مباراة بيرلز للدورة الأخيرة. والدول العربية التي شاركت في الدورة الخامسة، كلها صنفت - للأسف الشديد - في قاع الترتيب، وهي على التوالي: «الإمارات العربية المتحدة رتبة 40، والعربية السعودية رتبة 41، وقطر رتبة 43، وعمان رتبة 44، والمغرب رتبة 45». وحاز كيان الاحتلال الإسرائيلي مرتبة جد متقدمة مقارنة بالدولة العربية، الرتبة 18، مما يطرح أكثر من سؤال وبحث ودراسة، كما يظهر من خلال الترتيب التالي:

وستجيب على أسئلة تتعلق بما قرأت. قد تجد بعضها سهلا والبعض الآخر صعبا. سيطلب منك الإجابة على أنواع مختلفة من الأسئلة. ستكون بعض الأسئلة متبوعة بخيارات أربعة تختار منها أفضل إجابة، وتماثل الدائرة المقابلة لها، مثال: (...) وسيطلب منك في أسئلة أخرى أن تكتب إجاباتك في الفراغ المناسب في كتيب الإجابة، مثال: (...) سيكون لديك أربعون دقيقة للعمل في كتيب الاختبار؛ ثم نستريح فترة قصيرة نتابع بعدها الاختبار لمدة أربعين دقيقة أخرى. أبذل قصارى جهدي للإجابة على جميع الأسئلة. إذا لم تتمكن من الإجابة على سؤال ما، انتقل إلى السؤال الموالي.»<sup>(4)</sup>

### 3. نتيجة المشاركة المغربية في الكفاية القرائية لدورة بيرلز 2011

## Country Average Scale Score

3 Hong Kong SAR 571 (2.3) h  
Russian Federation 568 (2.7) h  
Finland 568 (1.9) h  
2 Singapore 567 (3.3) h  
† Northern Ireland 558 (2.4) h  
2 United States 556 (1.5) h  
2 Denmark 554 (1.7) h  
2 Croatia 553 (1.9) h  
Chinese Taipei 553 (1.9) h  
Ireland 552 (2.3) h  
† England 552 (2.6) h  
2 Canada 548 (1.6) h  
† Netherlands 546 (1.9) h  
Czech Republic 545 (2.2) h  
Sweden 542 (2.1) h  
Italy 541 (2.2) h  
Germany 541 (2.2) h  
3 Israel 541 (2.7) h  
Portugal 541 (2.6) h  
Hungary 539 (2.9) h  
Slovak Republic 535 (2.8) h  
Bulgaria 532 (4.1) h  
New Zealand 531 (1.9) h  
Slovenia 530 (2.0) h

Austria 529 (2.0) h  
1 2 Lithuania 528 (2.0) h  
Australia 527 (2.2) h  
Poland 526 (2.1) h  
France 520 (2.6) h  
Spain 513 (2.3) h  
‡ Norway 507 (1.9) h  
2 † Belgium (French) 506 (2.9) h  
Romania 502 (4.3)  
PIRLS Scale Centerpoint 500  
1 Georgia 488 (3.1) i  
Malta 477 (1.4) i  
Trinidad and Tobago 471 (3.8) i  
2 Azerbaijan 462 (3.3) i  
Iran, Islamic Rep. of 457 (2.8) i  
Colombia 448 (4.1) i  
United Arab Emirates 439 (2.2) i  
Saudi Arabia 430 (4.4) i  
Indonesia 428 (4.2) i  
2 Qatar 425 (3.5) i  
ψ Oman 391 (2.8) i  
Ж Morocco 310 (3.9) i

(4) تنتظر نماذج الاختبارات على شبكة الأنترنت.

سياسات بديلة وتطوير الممارسات الجيدة.» ويضيف التقرير: «وتقدم بيرلز 2011 مجموعة من المعطيات حول الاتجاهات الدولية لتحسين الكفايات القرائية لدى الأطفال من خلال رصد التطورات التي حدثت طيلة العشرية الأخيرة، خاصة في ظل =التنافس= الذي تخضع له القراءة مع تطور أنشطة أخرى ملتهمة للوقت كمشاهدة التلفاز، والإبحار في الشبكة العنكبوتية من خلال استعمال مواقع التواصل الاجتماعية، والترفيه واللعب... وتزخر الدراسة بمعطيات مهمة حول الأدوار الحورية للمنزل والأسرة والمدرسة والبيئة المحيطة بها والموارد المتوفرة لها، والمدرسين وتكوينهم وتطبيقهم للمناهج والطرائق البيداغوجية...»<sup>(5)</sup> ويجدر التنويه هنا بأهمية الاطلاع على تفاصيل هذه الدراسة -لدقة تفاصيلها- التي أنجزتها الجمعية على موقعها الرسمي.

#### في الختم:

إن نتائج الدراسة الدولية لتقويم الكفاية القرائية بيرلز تطرح أكثر من سؤال إشكالي بيداغوجي ومسؤولية تربوية مؤرقة على مسؤولي القطاع التربوي ببلادنا وعلى مدرسي اللغات، باعتبار أن مكون «القراءة» -بمختلف نصوصه وتنوع أسناده- يعتبر فعالية لغوية أساسية في بناء وتنمية الكفاية اللغوية، بل في بناء الكفاية التواصلية التي يحتاج إليها التلميذ عندما يودع الصفوف المدرسية وينغمس في وضعيات معيشية حقيقية تستدعي تعبئة موارده ومكتسباته.

ولم تختلف كثيرا نتيجة المغرب في دورة 2011 عن نتيجة دورة 2007، حيث رُتب في المرتبة ما قبل الأخيرة. وجدير بالذكر أن الرائد الدولي موحداً بين الدول المشاركة، ويختلف فقط في اللغة، إذ تكون النصوص وأسئلة التقويم باللغة الرسمية للبلد، مما يمكن التلامذة من الإنصاف وفرص الفهم. والسؤال الإشكالي الكبير الذي يثير حفيظة المتتبع للشأن التربوي هو: لماذا تقوِّعت الدول الممثلة لأمة «اقرأ» في أسفل الترتيب، ولم تتقدم ولو دولة عربية واحدة، يمكن أن تمثل نموذجا للاقتداء والمنافسة؟ وهل المنظومات التربوية العربية -على الأقل المشاركة في امتحاني PERLS و TIMSS- تعاني قواسم مشتركة من الاختلالات والمناخات التعليمية، جعلت هذا النوع من العرض التربوي العربي يحصل على مخرجات بئيسة للأسف الشديد؟

#### 4. قراءة في النتيجة المحصل عليها:

يزداد الأسى حينما لا تخضع مثل هذه التقارير الدولية للبحث عن الأسباب والعوامل المندجة التي ساهمت في اندحار وانحدار مؤشرات جودة التعليم، على كل مستويات الكفايات والمهارات، بل وحتى على مستوى القدرات والإنجازات الإجرائية المحدودة. وفي هذا السياق تقوم الجمعية المغربية لتحسين جودة التعليم بالمغرب (أماكن/ AMAQUEN)، بجهد كبير في التعريف بهذه المباريات وتحرص في كل مناسبة على تعميم وتعريب نتائجها، وتحليل الترتيب وإثارة الانتباه للعوامل المتنوعة المسببة له. جاء في أحد تقاريرها الصادرة مؤخرا: «فالمبادئ القاعدية للحكامة والتدبير تقرر أن الانخراط في أي مشروع يتطلب تحديد الأهداف في البداية والعمل على تقييم مدى الأثر الإيجابي عند نهاية المشروع، من أجل جعل المكتسبات كما النواقص مدخلا للمشاريع التحسينية الموالية في إطار سيرورة منتظمة، بصيغة أخرى يجب على منظومة التربية والتكوين الوطنية أن تستفيد من هذه المشاركات في تدارك الاختلالات وإبداع

(5) الدراستان الدوليتان حول تقويم التحصيل الدراسي تيمس 2011 و بيرلز 2011 / نتائج المغرب: واقع الحال وممكنات المآل: 1/مارس 2013 نقلا عن: Rapport\_Amaquen\_TimPir2011\_VFBAT.pdf/05/http://arab.amaquen.org/wp-content/uploads/2013